بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كل نظام على الأرض لا بد أن تكون له جذور عقيدية ينبثق منها ويقوم على أساس منها ، وأساس النظام الإسلامى هو توحيد الربوبية حتى تستقيم الحياة على الأرض و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (١) .

فالله هو الذى وضع التشريع للبَشر وأقام الموازين لهم لتستقيم أمورهم على أساس من التسليم الكامل لخالقهم وخاق الأرض والسموات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (٢) .

وما يلازم حقيقة التسليم والتوحيد « أن تتوحد الربوبية فتتوحد العبودية ، لا عبودية إلا لله ، ولا طاعة إلا لله ، ولا تلقى إلا عن الله ، فليس إلا لله تكون العبودية ، وليس إلا لله تكون الطاعة ، وليس إلا عن الله يكون التلقى ، التلقى فى التشريع ، والتلقى فى القيم والموازين ، والتلقى فى الآداب والأخلاق ، والتلقى فى كل ما يتعلق بنظام الحياة البَشرية وإلا فهو الشرك بالله » (٣) .

وهكذا يضع الإسلام أول لبنة فى نظامه وهى الحرية والتحرر من عبودية غير الله إلى سعة الدنيا المتحررة من التعبد لغير الواحد الأحد صاحب الحق فى إقامة النظم والمناهج والشرائع والقوانين والقيم والموازين .

---

(١) الأنبياء : ٢٢ (٢) البقرة : ٢٠٨

(٣) فى ظلال القرآن - للشهيد سيد قطب : ٣/ ٢٠٤

ومن يدَّعى شيئاً من ذلك - سواء فى النظم الديكتاتورية أو الديموقراطية - فقد ادَّعى لنفسه حقاً من حقوق الله وسعى لأن يستعبد الناس بنظم أرضية يتخذها بعض الناس أرباباً من دون الله .

بينما خلقهم الله أحراراً متساوين لا يخضعون لأحد إلا لله ، ولا لمنهج إلا منهج الله وشرائعه وموازينه ، ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جَوْرِ العباد إلى عدل الله .

لقد قادت المناهج الأرضية إلى مادية مفرطة تسود العالَم ، وإلى خواء فى الروح وضياع فى الشعور وشقاء فى النفس ، وأصبح البَشر يتيهون فى جحيم هذه المادية لا يجدون سبيلاً للخلاص .

وهل هناك خلاص إلا بالتسليم لله الذى خلق الإنسان من مادة وروح وعقل ونفس ، فلا تستوى حياته إلا بإعطاء كل جانب من نفسه حقه الذى فرضه الله عليه .

إنه بحاجة إلى الدين الذى يجمع له بين الدين والعلم ، والمادة والروح ، والنظام والخُلُق ، وسعادة الدنيا وحُسن ثواب الآخرة .

إن البَشرية بحاجة إلى حكم الله بدلاً من حكم الهوى الذى اتخذوه لأنفسهم فأدَّى إلى التحلل والفساد ، وملأ بلاد الأرض بالشرور والآثام والبؤس والشقاء .

والدين عند الله هو الإسلام الذى جاءت به الرسل جميعاً : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ (١) لتقوم العدالة على الأرض

---

(١) الحديد : ٢٥

بالكتاب وبقوة الحكم . . . فلا عاصم للناس مما تردوا فيه من آثام وأهوال ولن يحقق العدالة والمساواة والحرية إلا الإسلام .

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ، أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١) .

وهو العهد الأبدى الذى عاهد الله عليه آدم حين تاب : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

فما بال أقوام يريدون أن يرتدوا على أدبارهم كافرين . . . يحكمون الهوى ويرفعون أصناماً أمام الناس ليعبدوها . . . أصنام المال والعلم والجسد . . ويصيحون فى وجوهنا نحن - كمسلمين - بأن ليس فى الإسلام منهاج ، وليس لنا برنامج بل مجرد شعارات غامضة لا تعنى شيئاً .

ويقدمون لنا ترهات يدَّعون أنها النور الذى جاءت به الحضارة ، والذى سيهدينا سواء السبيل .

ويزعمون أن ما يقدمون من مقولات وكتب هو التنوير الذى سيقود الأُمة إلى طريق الصلاح .

وهم فى الواقع لا يرشدون أحداً إلا إلى طريق الضلال والهلاك . . .

ألم يروا ما حاق بصنمهم الأكبر . . الشيوعية ، التى ظلت تحكم روسيا ثلاثة وسبعين عاماً ، ثم انهارت فى لحظة كبيت من الرمال ولم تترك وراءها إلا البؤس والشقاء والفوضى !؟

---

(١) يس : ٦٠ - ٦٤ (٢) البقرة : ٣٧ - ٣٩

أم تُراهم لا يُبصرون ما أصاب النظام 'الليبرالى - الحر كما يدَّعون - من تحلل وفساد ينخر فى أعماق جذوره نتيجة لدعاوى الحرية الفاسدة المتحللة من كل قيد ، وللشذوذ بغير قيود والاستكبار فى الأرض .

إنهم فى الغرب والشرق لا يكادون يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . . . ذلك بأنهم نسوا لله فأنساهم أنفسهم . . . ونقضوا العهد ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، فأولئك هم الخاسرون .

يا قومى . . .

إننا أحوج ما نكون اليوم إلى طريق الإسلام ، ولا عاصم لنا من تلك الفتن التى تجتاح العالَم كقطع من الليل المظلم إلا الإسلام .

وها هو البرنامج - المنهاج - بين يديكم . . . كتاب الله وسُنَّة رسوله .

فإلى طريق الله عودوا فهو طريق الفلاح .

المعادى فى أول رمضان سنة ١٤١٤ هـ (١١ فبراير سنة ١٩٩٤ م) .

عبد السميع المصرى

* * *